﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [المائدة: 57]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن حذّر المؤمنين من موالاة اليهود والنّصارى، وحذّر منَ الارتداد عنِ الدّين، وما تبع ذلك منَ الوعيد.. ثمّ دعوته سبحانه المؤمنين إلى اتّخاد حزب اللّه وليًّا وسندًا.. بيّن هنا تأكيده سبحانه على عدم موالاة مَن يتّخذون ما شرّعه اللّه تعالى هُزوًا ولعبًا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هُزُوٗا﴾: جذر الكلمة هو (هزأ)؛ الهُزءُ؛ مزح في خفّة[1]، هزئ به ومنه وهزأ وتهزّأ واستهزأ، واتّخذه هزؤًا. وفعل ذلك استهزاءً به. ورجل هزاءٌ وهزأة، وهو هزأة بين النّاس: يهزؤون به[2]. ومن ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ [الجاثية: 9]، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الفرقان: 41]، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة: 231]، فقد عظّم تبكيتهم، ونبّه على خُبثهم من حيث إنّه وصفهم بعد العلم بها، والوقوف على صحّتها بأنّهم يهزؤون بها[3].

2) ﴿لَعِبٗا﴾: اللّعب بفتح أوّله وكسر ثانيه، والتّلعاب: مصدر لعب كسمع، وهو الأخذ على غير طريق الجدّ، ومثله: العبث، وأصله من لُعاب الصّبيّ، يُقال: لَعِبَ؛ كسَمِعَ، ومَنَعَ؛ إذا سال لعابه، وخرج إلى غير جهة[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الآية تنهى المؤمنين عنِ اتّخاذ أولياء ممّن يستهزئون بالدّين، ويتلاعبون بالشّرع القويم

(1) الرّاغب، المفردات: (هزؤ).
(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (هزأ).
(3) الرّاغب، المفردات: (هزؤ).
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 3/338.

من أيّ صنف كانوا من أهل الكتاب، أو الكافرين، أو غيرهم ممّن يصدق عليهم هذا الوصف القبيح، ثمّ ختم الآية بتحذير المؤمنين من مقارفة هذا الإثم الكبير الّذي يخلّ ارتكابه بوصف الإيمان.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

الافتتاح بالنّداء قبل النّهي، ودلالة مَوقِع قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾ ممّا قبله:

تـكـرار النّـهـي بـأسـالـيـب متنوّعة تأكيد عـلـى الـقـيـمـة العليا له

افتتحتِ الآية بالنّداء وبوصف الإيمان ترغيبًا لهم في الانتهاء، وحثًّا لهم على الثّبات على الاتّصاف بأرقى الأوصاف (الإيمان)، وفيه تمهيد للنّهي، وتمهيد لإنفاذه، والآية على سبيل الاستئناف تأكيد لمضمون الكلام الّذي قبله، فإنّ قوله: ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: 51].. تحذير من موالاة أهل الكتاب؛ ليظهر تميّز المسلمين. فالآية تأكيدٌ على المؤمنين، وتكرارٌ للنّصّ بأسلوب مغاير لأهمّيّة التّحذير للمؤمنين منِ اتّخاذهم أولياء لا يؤمنون باللّه، ولا يحترمون التّشريع؛ بل يتّخذونه هزوًا ولعبًا.. وفي ذلك معاداة صريحة للدّين والتّشريع، ومحادّة للّه ولرسوله وللمؤمنين.

الإدماج في قوله: ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾:

انـحـدار المجتمعات في هاوية اللّعب بالدّين يوجب حرص المؤمنين على صيانته

استنبط العلماء من الآية إشارة إلى مشروعية الأذان ومكانته المهمة وذلك "أنّ اللّه تعالى أخبر أنّ نداء الصّلاة سبب لاتّخاذهم إيّاها هزوًا، وعلّله بجهلهم، فدلّتِ الآية على سبيل الإدماج، وإشارة النّصّ على ثبوته[1].

وقوله: ﴿هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾؛ بيان لاستهزائهم بحكم خاصّ من أحكام الدّين بعد بيان استهزائهم بالدّين على الإطلاق إظهارًا

(1) السّيوطيّ، نواهد الأبكار: 3/282.

لكمال شقاوتهم[1]، فأدمج الاستهزاء واللّعب في الدّين، بينما كان الاستهزاء في الصّلاة وندائها.

دلالة سبب النّزول على المجاز في (الدّين):

سبب النّزول كاشف عن أنّ المراد بالدّين الصّلاة لأهمّيّتها

أخرج البيهقيّ عن ابن عبّاس ﷺ قال: كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى بالصّلاة، فقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، فإذا رأوهم ركّعًا وسجّدًا استهزؤوا بهم، وضحكوا منهم، وعليه يكون إطلاق الدّين على الصّلاة من إطلاق الكلّ على الجزء، وهو مجاز مُرسَل دلّ على مكانة الصّلاة منَ الدّين، وليس ذلك بمستغرب فهي الرّكن الأعظم للدّين، ويؤيّده أيضًا ما "رُوي عنِ ابن عبّاس: أنّ قومًا منَ اليهود والمشركين ضحكوا منَ المسلمين وقت سجودهم. وقال الكلبيّ: كانوا إذا نادى منادي رسول الله، قالوا: صياح مثل صياح العير، وتضاحكوا، فأنزل الله هذه الآية[2].

طباق السّلب في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾:

اللّعب والاستهزاء بالدّين انعكاس لسوء الأخلاق

فالكلام نهيٌ للمؤمنين بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، ثمّ أتبعها مباشرة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾؛ وبين الكلمتين طباق سلب، فائدته: بيان أنّ الجزاء من جنس العمل، فكما أنّهم اتّخذوا الدّين لعبًا، فعليكم أنتم أن تنبذوهم، فلا توالوهم في شيء، وليعلموا أنّ مصالحهم الدّنيويّة قدِ ارتبطت مباشرة بما يفعلونه منَ الاستهزاء في أمور الدّين، واتّخاذ عباداته وتشريعاته لعبًا.

دلالة قوله: ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾:

تقيّد الفعل بهذين الحالين الاستهزاء واللّعب إلهاب وتهييج لعدم موالاتهم، وقد خُصّا بالذّكر مع أنّ الكافرين كانوا يتّخذون الدّين وأهله بعديد منَ الصّفات والأفعال، واتّهموا أهل الدّين

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/53.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/241.

بكثير منَ التّهم الباطلة، ولكنّ الاستهزاء بالدّين جريمة كبرى، والاستهزاء بالدّين لا يُبقي في العقل والقلب عروة من عرى الإيمان، وفرصة للتّراجع والتّوبة، وفي ذلك إلهاب لمنابذتهم، ونفض يد الولاء منهم؛ "لأنّ الاستهزاء والاستخفاف احتقار، والمودّة تستدعي تعظيم الودود[1].

تنوّع أساليب الكافرين في اتّخاذ الدّين هزوًا ولعبًا موجب لمنابذتهم

بلاغة الكناية عنِ اليهود والنّصارى بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾:

لم يصرّح هنا بما صرّح به في قوله: ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾، وإنّما كنّى عنهم بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ لما في الكناية من زيادة التّشنيع عليهم؛ لكونهم أهل كتاب منزل منَ السّماء، وفي ذلك زيادة تقبيح، إذ لا يستقيم مع من أوتي الكتاب أن يهزأ بالدّين؛ لأنّ الدّين للّه، ومن اللّه، ومعناه: أنّ اسهزاءهم بالدّين استهزاء أيضًا بكتابهم المنزل عليهم، والقيد بقوله: (من قبلكم) زيادة تشنيع إلى تشنيع، فالأصل أنّ من سبق له إيمان بكتاب سماويّ أن يحترم كلّ كتاب سماويّ.

استهزاء كلّ مَن أُوتي كتابًا بكتاب سماويّ هو استهزاء بكتابه الّذي يؤمن به

بلاغة تذييل الآية بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾:

قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: احذروه بامتثال ما نهاكم عنه، وذكر هذا الشّرط استنهاض للهمّة في الانتهاء، وإلهابٌ لنفوس المؤمنين؛ ليظهروا أنّهم مؤمنون؛ لأنّ شأن المؤمن الامتثال.

تناسب الختم بالتّحذير والتّعقيب بالإلهاب مع الافتتاح بالنّهي

وليس للشّرط مفهوم هنا؛ لأنّ الكلام إنشاء، ولأنّ خبرَ كان لَقب لا مفهوم له، إذ لم يقصد به الموصوف بالتّصديق؛ ذلك لأنّ نفي التّقوى لا ينفي الإيمان عند مَن يُعتدّ به من علماء الإسلام الّذين فهموا مقصد الإسلام في جامعته حقّ الفهم. وإذا أُريد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/241.

بالموالاة المنهيّ عنها الموالاة التّامّة، بمعنى: الموافقة في الدّين، فالأمر بالتّقوى؛ أي: الحذر منَ الوقوع فيما نُهوا عنه معلّق بكونهم مؤمنين بوجه ظاهر. والحاصل أنّ الآية مفسّرة أو مؤوّلة على حسب ما تقدّم في سالفتها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51][1].

والجملة كلها تذييل يلائم ما افتُتحت به الآية، لمّا نهى المؤمنين عن اتّخاذ الكافرين أولياء، أمرهم بتقوى الله، "فإنّها هي الحاملة على امتثال الأوامر واجتناب النّواهي؛ أي: اتّقوا الله في موالاة الكفّار، ثمّ نبّه على الوصف الحامل على التّقوى، وهو الإيمان؛ أي: مَن كان مؤمنًا حقًّا يأبى موالاة أعداء الدّين[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/242.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/302.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»